

(٦٦)، (٦٧) [الحكم، خير الحاكمين]

ورد اسمه سبحانه (الحكم) في القرآن الكريم مرة واحدة وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا ﴾ [الأنعام: ١١٤].

وورد في السنة قوله ﷺ: (إن الله هو الحكم، وإليه الحكم)<sup>(١)</sup>، وهناك من أدخل اسمه (الحاكم)، في عداد أسمائه الحسنی، حيث ورد في القرآن خمس مرات بصيغة التفضيل؛ منها:

قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾

[الأعراف: ٨٧].

وقوله: ﴿ رَبِّ إِنَّ أَبْنِي مِن أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [هود: ٤٥].

وقوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾ [التين: ٨].

**المعنى اللغوي:**

قال الزجاج: «والحكم والحاكم بمعنى واحد، وأصل: (ح ك م) في الكلام: المنع، وسمي الحاكم حاكماً، لأنه يمنع الخصمين من التظلم وحكمة الدابة سميت حكمة لأنها تمنعها من الجماح»<sup>(٢)</sup> أهـ.

وقال في اللسان: «قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى الحكم، الحكيم، وهما بمعنى الحاكم وهو القاضي، فهو فعيل بمعنى فاعل، أو هو الذي

(١) رواه أبو داود (٤٩٥٥)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، (٤١٤٥).

(٢) تفسير الأسماء ص ٤٣.

يُحْكَمُ الْأَشْيَاءَ وَيَتَقْنَهَا فَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى: «مَفْعَلٌ»<sup>(١)</sup>.

### معناهما في حق الله عز وجل:

قال ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا ﴾ [الأنعام: ١١٤]، قل: فليس لي أن أتعدى حكمه وأتجاوزَه؛ لأنه لا حكم أعدل منه ولا قائل أصدق منه<sup>(٢)</sup>.

قال القرطبي: «والمعنى أفغير الله أطلب لكم حاكماً»<sup>(٣)</sup>.

وقال الخطابي: «الحكم: الحاكم ومنه المثل: (في بيته يؤتى الحكم) وحقيقته هو الذي سلم له الحكم ورد إليه فيه الأمر، كقوله تعالى: ﴿ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨].

وقوله: ﴿ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الزمر: ٤٦] «<sup>(٤)</sup>»  
قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾ [التين: ٨]، أي: أما هو أحكم الحاكمين الذي لا يجور ولا يظلم أحداً»<sup>(٥)</sup>.

وقال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: «ومن أسمائه الحكم العدل الذي يحكم بين عباده في الدنيا، والآخرة بعدله، وقسطه، فلا يظلم مثقال ذرة، ولا يُحمّل أحداً وزر أحد، ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه، ويؤدي

(١) لسان العرب ٢/ ٩٥١.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) تفسير القرطبي ٧/ ٧٠.

(٤) شأن الدعاء ص ٦١.

(٥) تفسير ابن كثير ٤/ ٥٢٧.

الحقوق إلى أهلها، فلا يدع صاحب حق إلا وصل إليه حقه.

وهو العدل في تدبيره، وتقديره: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٥٦﴾ [هود: ٥٦].

والحكم العدل الذي إليه الحكم في كل شيء فيحكم تعالى بشرعه، ويبين لعباده جميع الطرق التي يحكم بها بين المتخاصمين، ويفصل بين المتنازعين، من الطرق العادلة الحكيمة، ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ويحكم فيها بأحكام القضاء، والقدر، فيجري عليهم منها ما تقتضيه حكمته، ويضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها، ويقضي بينهم يوم الجزاء، والحساب، فيقضي بينهم بالحق، ويحمده الخلائق على حكمه حتى من قضى عليهم بالعذاب يعترفون له بالعدل، وأنه لم يظلمهم مثقال ذرة<sup>(١)</sup>.

### أيهما أبلغ الحكم أم الحاكم؟

قال القرطبي: «قيل: إن الحكم أبلغ من الحاكم؛ إذ لا يستحق التسمية بحكم إلا من يحكم بالحق، لأنها صفة تعظيم في مدح، والحاكم جارية على الفعل فقد يسمى بها من يحكم بغير الحق»<sup>(٢)</sup>. أهـ.

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «ويقال: حاكم وحكام لمن يحكم بين الناس، قال الله تعالى: ﴿وَتُدَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ [البقرة: ١٨٨]، والحكم: المتخصص بذلك، فهو أبلغ. وقال الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا﴾ [الأنعام: ١١٤]<sup>(٣)</sup>.

(١) توضيح الكافية الشافية ص ١٢٧، والحق الواضح المبين ص ٨٠.

(٢) تفسير القرطبي ٧/ ٧٠.

(٣) المفردات ص ١٢٧.

من آثار الإيمان باسمه سبحانه (الحكم):

أولاً إن أول ما يقتضيه اسمه سبحانه (الحكم) هو الرضى بحكمه - عز وجل - والتسليم له، وأنه لا حكم يعلو على حكمه سبحانه وأنه لا أحسن منه حكماً ولا شريك له - عز وجل - في حكمه، كما أنه لا شريك له في عبادته.

قال سبحانه: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الكهف: ٢٦]، وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠]، وقال سبحانه عن يوسف عليه السلام وهو يدعو صاحبي السجن: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٤٠].

والحكم الذي لله - عز وجل - ثلاثة أحكام هي من موجبات اسمه الحكم:

**الأول: الحكم الكوني القدرى: وهو نوعان:**

١- نوع يمكن مدافعتة، فعلى المسلم فعل الأسباب في مدافعتة فيدفع قدر الجوع بقدر الأكل والشرب، ويدافع المرض بالعلاج المشروع، وكل ما يمكن مدافعتة من المصائب يدفع بأضدادها فإن نفع الله بها فالحمد لله وإن لم ينفع الله بها فلله الحمد على ذلك وتكون من النوع التالي.

٢- نوع لا يمكن مدافعتة أو تمت مدافعتة فلم ينفع الله بالأسباب فموقف المسلم حينئذ الرضى والتسليم لحكم الله - عز وجل - واليقين بأنه سبحانه حكيم عليم لطيف له الحمد في أسمائه وصفاته وأفعاله.

## الثاني: الحكم الديني الشرعي:

وليس أمام المسلم أمام هذا النوع من الحكم إلا التسليم والإذعان، والقبول قال الله - عز وجل -: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِئَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٠].

ولازم هذا الإيمان الكفر بكل قوانين البشر ودساتيرهم التي تعارض حكم الله وشرعه المطهر، وعدم الرضا بغير شرع الله بديلاً، وترك التحاكم إلى حكم الجاهلية ودساتيرها الجاهلية الجائرة.

وأنقل بهذه المناسبة كلاماً نفيساً للشيخ الشنقيطي - رحمه الله تعالى - حول هذه المسألة.

يقول رحمه الله تعالى: «اعلم أن الله - عز وجل - بين في آيات كثيرة صفات من يستحق أن يكون الحكم له، فعلى كل عاقل أن يتأمل الصفات المذكورة التي سنوضحها الآن - إن شاء الله - ويقابلها مع صفات البشر المرشحين للقوانين الوضعية، فينظر هل تنطبق عليهم صفات من له التشريع؟

سبحان الله وتعالى عن ذلك، فإن كانت تنطبق عليهم ولن تكون، ليتبع تشريعهم.

وإن ظهر يقيناً أنهم أحقر وأخس وأذل وأصغر من ذلك، فليقف بهم

عند حدهم، ولا يجاوزه بهم إلى مقام الربوبية.

سبحانه وتعالى أن يكون له شريك في عبادته، أو حكمه أو ملكه.

فمن الآيات القرآنية التي أوضح بها تعالى صفات من له الحكم والتشريع قوله هنا: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى: ١٠]، ثم قال مبيناً صفات من له الحكم: ﴿ ذَالِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الشورى: ١٠ - ١٢].

فهل في الكفرة الفجرة المشرعين للنظم الشيطانية، من يستحق أن يوصف بأنه الرب الذي تفوض إليه الأمور، ويتوكل عليه، وأنه فاطر السماوات والأرض أي: خالقهما ومخترعهما على غير مثال سابق، وأنه هو الذي خلق للبشر أزواجاً، وخلق لهم أزواج الأنعام الثمانية المذكورة في قوله تعالى: ﴿ ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، الآية، وأنه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ وأنه: ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾، وأنه هو الذي: ﴿ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [الرعد: ٢٦]، أي: يضيقه على من يشاء وهو: ﴿ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

فعلينا أن يتفهموا صفات من يستحق أن يشرع ويحلل ويحرم، ولا تقبلوا تشريعاً من كافر خسيس حقير جاهل.

ونظير هذه الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ

وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴿[النساء: ٥٩]، فقله فيها: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ كقله في هذه: ﴿فَحُكِّمَهُ إِلَى اللَّهِ﴾.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ وَأَسْمَعَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ ﴿[الكهف: ٢٦].

فهل في الكفرة الفجرة المشرعين من يستحق أن يوصف بأن له غيب السماوات والأرض؟ وأن يباليغ في سمعه وبصره لإحاطة سمعه بكل المسموعات وبصره بكل المبصرات؟ وأنه ليس لأحد دونه من ولي؟ سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً؟

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿[القصص: ٨٨].

فهل في الكفرة الفجرة المشرعين من يستحق أن يوصف بأنه الإله الواحد؟ وأن كل شيء هالك إلا وجهه؟ وأن الخلائق يرجعون إليه؟ تبارك ربنا وتعظيم وتقديس أن يوصف أحسن خلقه بصفاته.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ ﴿[غافر: ١٢].

فهل في الكفرة الفجرة المشرعين النظم الشيطانية، من يستحق أن يوصف في أعظم كتاب سماوي، بأنه العلي الكبير؟

سبحانك ربنا وتعاليت عن كل ما لا يليق بكمالك وجلالك.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٧٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ ﴿٧٤﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ﴿٧٥﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٧٦﴾ [القصص: ٧٠ - ٧٣].

فهل في شرعي القوانين الوضعية، من يستحق أن يوصف بأن له الحمد في الأولى والآخرة، وأنه هو الذي يصرف الليل والنهار مبيئاً بذلك كمال قدرته، وعظمة إنعامه على خلقه؟

سبحان خالق السماوات والأرض، جل وعلا أن يكون له شريك في حكمه أو عبادته، أو ملكه.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٤٠﴾ [يوسف: ٤٠].

فهل في أولئك من يستحق أن يوصف بأنه هو الإله المعبود وحده، وأن عبادته وحده هي الدين القيم؟<sup>(١)</sup> أهـ باختصار.

### الثالث: الحكم الجزائي:

وهو الحكم الذي يحكم به (الحكم العدل) بين عباده يوم القيامة

(١) أضواء البيان ٧/ ١٦٣ - ١٧٣.



بمجازاتهم على أعمالهم، والحكم بين المتخاصمين والمختلفين، وإظهار الحق ورد المظالم إلى أهلها.

قال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ حَكَمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [الزمر: ٤٦].

وقوله سبحانه: ﴿ أَلْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ تَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ [الحج ٥٦، ٥٧].

وهذا النوع من الحكم هو من مقتضيات اسمه سبحانه (الحكم)، والإيمان بهذا يثمر في قلب العبد الخوف من الله - عز وجل - في هذه الدنيا، والالتزام بشريعته والقيام بما يرضيه والابتعاد عن مساخطه حتى إذا جاء يوم الحكم والجزاء يكون من الفائزين المصلحين، كما يثمر أيضاً البعد عن مظالم العباد وعدم الاعتداء على حقوقهم؛ لأن وراء ذلك يوم الفصل والقضاء حيث يحكم الله - عز وجل - فيه بحكمه ولا يُظلم عنده أحدٌ قال - عز وجل - : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ [النمل: ٧٨]، وقال سبحانه: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

